الدين في فلسفة وليم جيمس

Religion in the philosophy of William James

خالد العياشي*[1]، سواريت بن عمر[2]،

[1] جامعة وهران2، الجزائر khaledphilo57@gmail.com

[2] جامعة وهران2، الجزائر sarauteomar@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/10/01 تاريخ القبول: 2023/04/03 تاريخ النشر: 2023/06/12

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى فهم الدين انطلاقا من ذرائعية وليم جيمس، وقد عالج وليم جيمس مشكلة الدين من منطلق منفعته النفسية إذ يعتقد أن الدين انساني، وأساسه وجداني وليس عقلاني، ويؤكد أن الايمان الديني اعتقاد شخصي ،ويرفض الكونية الدينية ويعتبر الله شخصية متناهية ،والتصوف عنده هو المعبر عن الدين الحقيقي لأنه تجربة دينية لها منافع نظرية، وعملية فالتصوف دين فردي خالص . يكشف عن تفاعل مباشر بين المعتقد بالدين وما هو إلهي فهو ليس ظاهرة مرضية كما كان يرى بعض الأطباء النفسانيين.

فمعالجته للدين تختلف عن التصورات العقدية للعصور الوسطى كما تختلف عن تصورات الفلاسفة العقلانيين، فلا وجود لدين مطلق وهو يتغير بتغير نفسية ومزاج صاحبه، وتهدف هذه الدراسة إلى تبيين أن مقاربة جيمس الدينية سيكولوجية أكثر منها براغماتية لأنه عالم نفس قبل أن يكون فيلسوف، كما تهدف الدراسة إلى محاولة تخليص الدين من الفهم المتعصب والجامد من خلال ابراز ما فيه من تعدد واعتمدت الدراسة على منهج تحليلي نقدي لأن التحليل والنقد صفتان ملازمتان للفلسفة.

كلمات مفتاحية: الدين، الاعتقاد، السيكولوجية الدينية، البراغماتية، الفلسفة الدينية.

Abstract:

This study aims to understand religion on the basis of William James 's instrumentalism , and William James addressed the problem of religion based on the psychological benefit of religion, as he considers religion to be human and its basis is emotional and not rational, and confirms that religious faith is a personal belief and rejects

* المؤلف المرسل: خالد عياشي

religious universalism. True religion is because it is a religious experience that has theoretical and practical benefits. Sufism is a purely individual religion that reveals a direct interaction between belief in religion and what is divine. It is not a satisfactory phenomenon, as some psychiatrists used to believe. The existence of an absolute religion and it changes with the change of the psyche and mood of its owner. This study aims to show that James' religious approach is more psychological than pragmatic, because he is a psychologist before he was a philosopher. On the analytical-critical method, because analysis and criticism are inherent qualities of philosophy.

Keywords: Religion, belief, Religious psychology, Pragmatism, religious philosophy.

1. مقدمة:

لا مشاحة أن الأديان موغلة في القدم ،وقد تنوعت وتعددت التصورات الدينية، وهي في مجملها تترنح بين البساطة والتعقيد، وسواء كان الباحث مؤمن أو ملحد فإنه لا مناص له من دراسة الدين ليس لإثبات صحته أو بطلانه لأن هذه مسألة ذاتية وشخصية في نهاية المطاف، ولكن لتبين مدى تأثيره على حياة الناس بالسلب أو الإيجاب، فلا يمكن استبعاد الدين من الناحية الثقافية والفكرية، والفلسفية، والانثروبولوجية، فالدين اقترنا بالوجود الإنساني عبر حقبه التاريخية المختلفة، ولا يزال إلى اليوم رغم ولوجنا الى عصر الآلة ،والتكنولوجيا ،والعلم . فمن يرفض دراسة الدين بوصفه ظاهرة وحقيقة انطولوجية فله ذلك ،ولكن لا يمكن رفض دراسة الظاهرة الدينية كحقيقية تاريخية بما لها وما عليها، وبما فيها من طقوس ،وشعائر ،وعقائد ،ومشاعر، وانعكاسات على واقع وحياة الناس، والأجيال المتعاقبة التي مرت، فيمكن أن نتخيل شعوبا دون علم في الماضي لكن لم يمكن أن نتخيل شعوبا دون دين حسب برغسون، فالدين سابق للعلم بل إنه سابق حتى على الفلسفة على حد تعبير هيغل، فإذا كان العقل دليل الإنسان عند المناطقة، والتأنس والاجتماع عنوان الانسان عند السوسيولوجيين، والنطق واللسان أساس الإنسان عند النحويين واللغويين، فإن التخلق والتدين عند الكثيرين . هو عنوان تفرد لإنسان وشرفه، ووليم جيمس هو من

اشتهرت وانتشرت معه هذه الفلسفة، ولكن الربط بين الدين وفيلسوف ذرائعي أمر محير، ومثير للحيرة والريبة لذا نجد أنفسنا مجبرين على طرح التساؤل الآتي : هل يمكن أن يكون الفيلسوف ذرائعي تجريبي ومقر بالدين في الآن نفسه ؟ وكيف يفهم ويصف وليم جيمس الظاهرة الدينية انطلاقا من كونه عالم نفس وفيلسوف براغماتي؟

2. المقاربة السيكو براغماتية للدين

1.2 الدين كاعتقاد:

الدين بوجه عام يعبر عن الإيمان بوجود قوة عليا وخارقة - الإله – يعتقد بأنها مصدر وجود الإنسان والطبيعة منها بدأ كل شيء وإليها يرد كل شيء، وطبعا يترتب عن هذا التصور العبادة والطاعة وفق طقوس مختلفة تختلف باحتلاق الأجناس والثقافات والعادات والأديان بهدف نيل الخير والرضى أو توخي الغضب والشر الإلهي ولعل هذا ما يبرره المعنى اللغوي للدين" الطاعة، والخضوع ،والانقياد والجزاء، والمكافأة"(ابن منظور،دت،166) . فلا شك أن الدلالات اللغوية للدين تفيد بأنه يعني " العادة والحالة التي يكون عليها الإنسان مطيعا وذليلا أمام دائنه ينتظر الجزاء منه بحسب عمله"(غيضان السيد ،24،9،2019)،وكلمة الدين في الفرنسية والانجليزية مأخوذة من الكلمة اللاتينية (**Religio**) أي "الإحساس المصحوب بخوف أو تأنيب الضمير بواجب ما تجاه الآلهة" (غيضان، 2019، صفحة 24)، والإحساس بالخوف وتأنيب الضمير لا شك أنه متولد عن الإيمان بفكرة الثواب والعقاب الرباني .

Religion (الدين) لا يكون عند بعض أصحاب الديانة إلى من خلال الوحي الذي يكون بوساطة (الأنبياء) الذين يختارهم ويصطفهم الله عن سائر عباده . أما تصور الإله فهو متباين حسب كل دين ،فهناك ديانات قديمة قامت على فكرة تعدد الآلهة وهناك ديانات قامت على أساس فكرة وعقيدة التثليث ،وهناك أديان توحيدية لا تقر إلا بالإله الواحد ،فالدين ايمان واعتقاد مقدس ينجر عنه العبادة وفق طقوس وسلوكيات مختلفة، وعليه

الدين اصطلاحيا هو " جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق العبادة " (دراز، 1980، صفحة 52) . يشير الدين بهذا المعنى للاستسلام والخضوع والطاعة والإيمان والعبادة لتلك القوة – الإله – فالمخلوق (الموجود لأدنى) يخضع للخالق (الموجود الأعلى) وعليه الدين بوجه عام هو " مجموعة معتقدات وعبادات مقدسة تؤمن بها مجموعة معينة، يسد حاجة الفرد والمجتمع على السواء ،أساسه الوجدان ،وللعقل فيه مجال" (غيضان، 2019، صفحة 24)، ويري جيمس أن كلمة دين تتسم بالعموم والشمول إذ تحوي في ثناياها مجموعة كلية من المعاني والأحاسيس والعواطف والمشاعر ،فهي ملتصقة وملتحمة بالإرادة، وبالتالي يصعب ضبطها لان الإرادة إرادات فلكل فرد إرادة خاصة . لذا ليس من السهل أن نمسك بتعريف واحد أو قانون عام للدين في نظر جيمس ،فمن المتعذر حسبه اختصار لفظ الدين في مبدأ واحد، أو ماهية ما، بل كلمة الدين اسم عام . كما يصعب التميز بين الاعتقاد والايمان والدين والعقيدة في فلسفة جيمس لأنه يستعمل هذه الكلمات بمعنى واحد ولا يميز بينها وهذا لا ريب يرجع إلى فلسفة جيمس التي لا تحب التنظير ولا تحتفي بالبحث في الماهيات . إنما فلسفته فلسفة تسعى وراء النتائج والآثار.

ادرك بفضل ذهنه المتقد وذكاءه الفذ أن ميدان الدين خصب وبأن مجاله شاسع وواسع ولا يمكن أن يعبر عنه بتعريف وحد وايقن انه من البلاهة والساذجة أن نؤمن بمفهوم غيبي وميتافيزيقي ومجرد للدين ونحاول الدفاع عنه واثباته بأساليب وطرائق عقلية بالية ،وهذا الفهم يبين مدى امتعاض واعراض جيمس عن اللاهوت العقلي والكلامي الكلاسيكي من جهة. كما يبين من جهة أخرى اعراضه ومعادته للمؤسسات الدينية الكلاسيكية وفهم رجال الإكليروس للأديان السماوية القديمة أي أنه ضد دين رجال الكنيسة بوصفه دين ثنائي كما يطلق عليه، فجيمس مع ما يصطلح عليه دين الأخلاق والضمير أي مع دين النقاء والصفاء ودين الارادة والاعتقاد الفردي أي أنه مع دين الديانة الشخصية " **The Personal Religion**" فمن المعاني العامة للدين و المشكلة لعمق ولب الدين بالنسبة لجيمس أن

الدين" أحاسيس وأفعال وتجارب أفراد في عزلة ... ليقفوا في ارتباط مع ما يعتبرونه الإلهي(**the divine)" (James, 2004, p. 34**). وإننا نجد وايتهيد(1861- 1947) متأثرا بهذا التصور الجيمسي الذي يربط الدين بعزلة الأفراد لذا ذهب وايتهيد إلى اعتبار الدين الحق هو ما يقوم به الأشخاص في تفردهم وعزلتهم بذواتهم ولا ريب أن العزلة الفردية تصور أساسي " في الدين العقلي العملي" (فروم، 1977، صفحة 24)، و الملاحظ على هذا التعريف العام أنه يضفي على الدين بعدا نفسيا ويجعله على ارتباط وثيق بالصوفية لأنهم هم من يحبذون العزلة والانفراد ويؤمنون بالحدس (**Intuition**). كما أن هذا التعريف لا يتماشى مع تجريبية جيمس الراديكالية **Radical Empiricism** التي لا تؤمن إلا بما يمكن أن يكون موضوعا قابلا للتحقق الفعلي والتجريبي لكن التعريف يعبر عن الفلسفة البراغماتية في ايمانها بالنسبية والفردية .

ينظر جيمس للدين كذلك على أنه ايمان واعتقاد . فالدين ليس عقيدة تفرض من الخارج وليس طقوس يجب أن تقام حتى يثبت الفرد براءته من تهمة الكفر أو الإلحاد أو ولاءه لجماعة معينة من أجل شراء سلم اجتماعي وهمي مبني على النصب والاحتيال والنفاق . إنما هو اعتقاد وارادة اعتقاد أو اعتقاد حر وفردي، فهو اعتقاد وليس حقيقة موضوعية أو انطولوجية مطلقة. بل هو تجارب انسانية فردية تتسم بالنسبية والتعددية والجوانية السيكولوجية، فالدين على حد تعبير وليم جيمس هو" الإيمان أو الاعتقاد بقوة أو نظام خفي غير مرئي، وأن عاطفتنا الأسمى تكمن في الانسجام أو التناغم، وتواصلنا معه" (جيمس، العقل والدين، 1949). يكشف هذا التعريف إدراك جيمس لاختلاف وتمايز الأديان من حيث حيثياتها وتفاصيلها ما جعله يتناول الظاهرة الدينية في عمومها وشموليتها وتعدد وتنوع أصناف تجاربها معتبرا بذلك أن الدين اسم جمعي(**name Collective**). ومعتبرا الدين اعتقادا شخصيا لسنا ملزمين بتبريره لغيرنا ولا غيرنا في حاجة الى اقناعنا بصحة ما يعتقدون ،فالاعتقاد مسألة ارادة وليس مسألة حجج وبراهين لهذا يقول جيمس في

هذا الشأن" إننا في الواقع نجد أنفسنا معتقدين، ولكنا لا نكاد ندرك كيف؟ ولماذا؟" (جيمس، العقل والدين، 1949، صفحة 13). هذا الاقتباس يظهر الرغبة المعلنة والخفية لجيمس والمتمثلة في جعل الاعتقاد الديني خارج دائرة المحاكمة المنطقية والمسائلة العقلية كما يبرز التأسيس الفلسفي والسيكولوجي للدين عند جيمس، فمادام الاعتقاد إرادة فردية حرة تخضع لما نميل له ،وما فينا من مشاعر وعواطف سيكولوجية فإنه يكون فلسفيا وتبعا لهذا المنحى السيكولوجي الاعتقاد يعني لجيمس "الإيمان بشيء يمكن الشك فيه من ناحية نظرية، وبما أن معيار الاعتقاد هو الرغبة في العمل، فإنه يمكن أن يقال أن الاعتقاد هو الاستعداد ،والتأهب للعمل في كل الحالات التي ليس لدينا برهان سابق على صحة نتائجها، أنه يشبه تلك الصفة الخلقية التي نسميها شجاعة في المسائل العملية، وكما أن المخاطرة تولد القوة ،والحماس في الأعمال الدنيوية، فكذا في المسائل الدينية" (جيمس، العقل والدين، 1949، صفحة 60). يبدو ان رؤية وليم جيمس للدين تنبني على دعامتين أساسيتين ألا وهما الاعتقاد والوجدان أي الغريزة، فهما من يثبت الايمان الديني في داخلنا وهما من يقود إليه لذا يرى جون ديوي أن جيمس " أدخل في اعتباره دوافع الميل الغريزي التي تلعب في اختيارنا لهذا المذهب الفلسفي أو ذاك دورا أهم من الدور الذي يلعبه الاستدلال الصوري" (ديوي، 1963، صفحة 239).

هناك قضايا لا يمكن أن يشملها شرط التحقق الحسي الفوري المباشر كما لا يستوعبها مجال قدرات العقل النظري وهي التي يشملها ميدان الاعتقاد وابرز القضايا التي يشملها منطق الاعتقاد القضايا الدينية ،ويعتبر جيمس العمل دون اعتقاد علامة عبث وإمارة تدل على التيه والضياع وفقدان البوصلة ذلك أن الاعتقاد إذا لم يكن هو الفعل فإنه الجسر أو القنطرة الموصلة إليه أو هو ما سيكون فعلا بعد حين إذ لا بدى من قوة دافعة نحو الفعل وصوب الممارسة العملية وهذه القوة المنشطة والمحفزة للإرادة لإنجاز فعل ما ،وهذه القوة التي تحرك قوة الإرادة ليست إلا قوة الاعتقاد من هنا يقول جيمس "إن إرادة الإنسان بحاجة ماسة ودائمة إلى قاعدة تعمل وفقا لها، فإذا لم تجدها اخترعتها"

(جيمس، العقل والدين، 1949، صفحة 58) . أي شخص يجدر به أن يتبع ايمانه إرادته التي يحركها اعتقاده خاصة في المسائل التي لا يشملها مجال الخبرة الحسية المباشرة وعليه لكل فرد الحق في أن يعتقد بحسب قدراته وعلى قدر حاجاته وتبعا لمزاجه النفسي "فالدين يتصل بالحياة وكل منا يعيش بحسب مزاجه الخاص وبمقتضى مواهبه الخاصة " (خليل، 2012، صفحة 223).

يعتبر جيمس بأن مسألة الاعتقاد ليست مسألة برهانية استدلالية ،ولربما يقربه هذا من كانط كثيرا لأنه لا يمكن أن نقدم دليل قاطع ونهائي عن صحة أو بطلان قضايا الاعتقاد الديني بطريقة برهانية وهذا ذاته ما أقره كانط فيما يتعلق بقضايا الشيء في ذاته" **Noumena**" فكأن الدين وفكرة الإله عند جيمس هي الشيء في ذاته عند كانط، فكما أن العقل غير قادر ولا يستطيع أن يبرهن عن مشروعية أو عدم مشروعية قضايا الميتافيزيقا، فكذلك العقل بالنسبة لجيمس لا يستطيع أن يكون أساس الصحة ولا معيار البطلان فيما تعلق بالله وفكرة الدين ،وإننا نجده كانطيا كذلك في جدلية الدين والأخلاق فهو يسير على خطى ونهج كانط لأنه مثله يرفض تأسيس الأخلاق على الدين وإنما يؤسس للدين انطلاقا من الأخلاق وهذا التأثير الكانطي على جيمس يتجلى من خلال قول هذا الأخير " هل لي أن أحاكي كانط ويتعين على القول بأن نقد القداسة الخالصة يجب أن تكون مذهبنا" (**James, 2004, p. 255**)، فمن الواضح بأن الاعتقاد هو قوام وعماد فلسفة وليم جيمس ،وجوهر فلسفته الدينية ،فهو بحق فيلسوف الاعتقاد وفيلسوف ارادة الاعتقاد الديني ،فليست الحقيقة إلا اعتقاد وفرض نافع وليس الدين كذلك الا اعتقاد نافع من الناحية الفردية السيكولوجية ،فالاعتقاد بهذا المعنى فرض مربح لأنه يجلب السعادة وهو "واحدا من الطرق التي ينال بها الإنسان السعادة بسهولة فهو ينقل البؤس الذي لا يحتمل إلى سعادة دائمة" (**James, 2004, p. 175**).

الاعتقاد إذن يثبت نفسه بنفسه فهو دليل نفسه لأننا في مضمار الدين نملك اعتقادات ذاتية تحركها ميولات ورغبات شخصية والعقل لا يملك القدرة ولا الشرعية لذا يصرح في كتابه العقل والدين قائلا" إن اعتقادنا في بعض المسائل التي آمنا بها أثر بفعل طبائعنا الوجدانية والاختيارية، وأن اعتقادنا في بعض آخر منها أثر لمجهوداتنا العقلية" (جيمس، العقل والدين، 1949، صفحة 6)،وطريق الاعتقاد الصائب في الدين بالنسبة له هو طبائعنا الغريزية والاختيارية. وفق رؤية جيمس للدين تبرز الأديان للعيان على نحوين مختلفين، فالذهن الذي يستقرئ تاريخ الاديان وكيفية نشؤها ونموها وتطورها في التاريخ يلاحظ بدون أدنى شك أن الدين له مظهر سطحي براني "خارجي" ومظهر داخلي باطني " سيكولوجي". المظهر الأول يعكس اللاهوت الكلاسيكي الكنسي كما يعبر عن الدين الفلسفي العقلاني المبالغ في عقلانيته والذي يجعل من الله حقيقة منطقية و رياضية أو كسمولوجية وانطولوجية تارة باسم السببية وتارة أخرى بسم الغائية هذا النوع من التدين والإيمان أي المظهر الخارجي للدين لا يشفي غليل جيمس ولا يأخذ به لأنه قد تغيب فيه النزاهة ويفتقد للصدق والصفاء إنه دين تبعية وتقليد فمثلا العظماء من الرجال مثل بوذا وكونفوشيوس أسسوا أديان أصبحت أديان كنسية متصلبة ومؤسساتية وأضحت أديان محتكرة من طرف من يتبعها وسرعان ما تتحول الأديان المؤسساتية إلى أديان منغلقة تنصب وتكيل العداء لباقي الأديان ويشرع أهلها في التكفير والتحريم والتجريم مدعين أنهم أصحاب الحق وقولهم الحق وما عداهم ومن خالفهم على باطل وفي ظلال مبين ،وهكذا تفرق الأديان أكثر مما تجمع وقد تترتب عنها وبسببها الحروب والويلات للإنسانية، و الحرب الصلبية أكبر دليل على ذلك.

كل هذا يجعلنا لا نعجب من قول جيمس عن الدين الكنسي المؤسساتي أنه مثير للاشمئزاز فالأنبياء والعباقرة ،والعظماء ،وكبار المصلحيين عندما أسسوا أديان معينة اجتمع حولهم اتباع وموردين وعندما يشتد عودهم وتزيد قوتهم ويعلوا صيتهم يخدمون نفسهم حتى أن سماع كلمة دين في الغرب بالنسبة لجيمس أصبح يعني الكنيسة ،فالمظهر

الخارجي للدين لا يترتب عنه في نهاية المطاف إلى جماعة تلتف وتتعاطف مع المؤسسين الأوائل وكلمة الكنيسة باتت بالنسبة لجيمس تشير عند البعض " إلى النفاق الكثير والبطش والاستبداد، وتدل على الدناءة، ومواصلة الوقوع في الخرافات بأساليب مجهولة، مع تمجيدهم لتلك الخصال الدنيئة في أقوالهم، ويسقطون ذلك على الدين، وحتى عندما ننخرط في كنيسة معينة فإن هذا لا يعفي تلك الكنائس من معادتنا ولا يعفينا هذا من إدانتها لها (**James, 2004, p. 261**) ". يريد جيمس استبعاد الدين الكنسي من دائرة الدين الفعلي، والحقيقي لأن الدين الكنسي قائم على الجبرية والقهر والتبعية والتقليد بينما الدين الحق في نظره قائم على الاعتقاد الذاتي والارادة الحرة والتجربة الباطنية التي تتم معاشرتها ومعايشتها فالتجلي السيكولوجي للدين هو العقيدة الحقة في نظر جيمس، فحتى الدين المؤسساتي بالعودة إلى أصوله وجذوره نجد أنها تفتقت وانبجست من الفردية ذلك أن المؤسسين الأوائل وهم عباقرة، وعظماء، ومصلحيين دينيين ،واجتماعيين حقيقين هم من كان لهم السبق في اقامت الدين على نحو فردي وروحي قبل أن يلتف الملتفون من الجماعات التابعة والمريدة ،فالمظهر الجواني السيكولوجي للدين يتميز بالصدق والنزاهة والحميمية والعواطف والمشاعر الجياشة.

2.2 الأبعاد النفسية للدين:

نالت المسألة الدينية اهتماما بالغا من طرف وليم جيمس، ولا شك أن هذا يعزى الى جملة من المبررات، ولعل ابرزها حالاته النفسية والمرضية التي أثرت على صحته الجسمية والفكرية، وكذا التربية الدينية والروحية والصوفية التي عرف بها والده فلا شك أن رواسبها بقيت تعتمل في داخله واثرت عليه على نحو مباشر أو غير مباشر، وأول ما يلاحظه القارئ لفكر جيمس والمتتبع لفلسفته الدينية هو اعتمادها على الفرضيات ذلك أنه يطلق العنان لخياله ليقدم جملة من الافتراضات الدينية، وهذا يعزى لإيمانه بأن الدين مبني على حق وإرادة الاعتقاد فهو في النهاية يتحدث عن الديانة الشخصية (**The Personal Religion**)

،كما يكشف هذا من جهة أخرى وجود بعض الابهام والغموض والالتباس في تصوراته الدينية سواء المتعلقة بالإله أو صفاته وهذا يرجع لعدم تشكيله وصياغته لفلسفة دينية كاملة ومتكاملة مرة واحدة ودفعة واحدة، فقد نمت وتطورت فلسفته مع الوقت وبحسب تطور فكره وبحسب حالاته النفسية المرضية التي كان لها بالغ الأثر في اقامته لسيكولوجيا دينية على نحو عملي براغماتي، فلم يكن تعاطيه وتعامله مع الظاهرة الدينية فلسفيا تقليديا ولا لاهوتيا دغمائيا بل تعاطى مع الظاهرة الدينية وكأنه فيلسوف ما بعد حداثي (**Post Modernism**) فهو يتناول موضوع الدين بأحاسيسه ومشاعره و بمنأى عن العقل الجمعي وقيود الفكر الموروث ،فلا يمكن لسلطة العقل أو سلطان المنطق أن يثبت أو يفند اعتقاد ديني معين . وهنا يصرح جيمس"أنا أنكر حق أي منطق مزعوم في أن يبطل إيماني" (جيمس، البراغماتية، 2008، صفحة 344).

يؤسس جيمس للاعتقاد الديني من خلال الوجدان والإرادة الحرة رافضا بذلك مسلك العقلانيين الذين يتصورون إمكانية إقامة فلسفة للدين على أركان منطقية متينة ومتجاوزا في الوقت نفسه ضيق وحدية الرؤية المادية التجريبية المنكرة لكل ظاهرة لا تلتقطها عدسة الحس، وجيمس في تجاوزه لهذا التصور الحسي استفاد من علم النفس وتخصصه فيه ودرايته بالأبحاث الجارية في علم النفس الأمر الذي جعله يقر بأن "الشعور مصدر الدين الفعلي وما الرؤية الفلسفة والدينية إلى نتاج عرضي" (**James, 2004, p. 51**)، ولا شك أن هذا التصور الذي يصل الدين بالشعور والنفس يلغي المقاربة الحسية والعقلية للإيمان الديني لأنه في الأصل عالم نفس لهذا يقول "إنني لست لاهوتيا، ولا رجل دين كي أبحث في تاريخ الأديان، ولا أنثروبولوجي، وإنما أبحث من منطلق تخصصي في علم النفس؛ ومن ثم فإن الاتجاهات الدينية للإنسان يجب أن تكون مثيرة لاهتماماتي شأنها في ذلك شأن أية حقائق تتعلق بالطابع العقلي للإنسان " (**James, 2004, p. 8**). إن الحالات التي اطلع عليها جيمس والمتعلقة بالحالات الصوفية وتجارب التنويم المغناطيسي بالإضافة إلى اطلاعه على نتائج أبحاث البحوث النفسانية، التي كان عضوا فيها سمحت له من التأكد بأن القديس، يشعر

بوجود كون فسيح أكثر سعة من العالم الأرضي ويشعر أن بينه وبينه "علاقة انجذاب وتعاطف وصداقة بل يشعر أنه خاضع له وينبغي أن يكون خاضعا له ومن المحال أن يكون الشعور العقلي مصدر الوعي بهذا الكون، إذن "فمن الملائم أن تفترض وجود مناطق خفية من الشعور يمكنها الاتصال بهذا الكون العظيم" (زيدان، 2005، صفحة 149).

رؤية جيمس لدين جاءت رؤية شخصية وروحية وفردية تحمل أبعاد سيكولوجية ذات انعكاسات جسمية "فيزيولوجية"، فهو لا يتطرق للدين المألوف ذا الطابع الجمعي- الدين السماوي – بل يتحدث عن صور عديدة لتجارب دينية عددها بعدد المتدينين، فجيمس يذهب إلى الإقرار بوجود مناطق خفية في الشعور يمكن تسميتها بما دون الشعور أو اللاوعي هي الأساس الذي ينبجس منه الإيمان بعالم غير منظور، لذلك يذهب بول ودربخ في مقدمة كتاب "أحاديث إلى طلاب علم النفس" إلى انه مما هو جدير بالذكر والتنويه أن جيمس قبل "أن يقرأ فرويد بمدة طويلة كان واعيا بوجود وقيام حياة باطنية ولا يعيها الفرد وعيا كاملا، فلما قرأ بعض مقالات فرويد الأولى وجد مفهوم فرويد للاشعور كما يعتمل في نفسه فأولاه اهتماما خاصا، ولكنه لم يجد دليلا مقنعا لمساندة مفهوم فرويد للرمزية المطلقة، وساوره الشك والارتياب في تفسير فرويد للأحلام" (الشنيطي، 1957، صفحة 165). كما أن جيمس لا يذهب إلى اعتبار الدين إكراه ناتج عن عقدة ولا يعتبروه مرض ووسواس كما ادعى فرويد الذي يقول " تقودنا أبحاثنا إلى الاستنتاج بأن الدين ما هو إلا عصاب تشكو منه الإنسانية ،وحين تبين لنا أن قوته الهائلة تجد تفسيرها على نفس النحو الذي نفسر به الوسواس العصابي لدى بعض مرضانا وضغينتها" (فرويد، 1973، صفحة 78)، فسيكولوجيا فرويد إذ كانت تذهب لحد التصريح بأن الدين اكراه ،ومرض فإن سيكولوجية جيمس تصرح بالعكس وتعتبر الدين علاج روحي واختيار شخصي، فالإله مع فرويد بمثابة أب مهيب تم استدعاءه في خيال الشعوب القديمة لحفظ النظام والتوازن الأخلاقي ،والاجتماعي للحفاظ على أمن

النفس فهو وهم وليس حقيقة بينما يقر جيمس بأن الإله فرض حي وحقيقي لما له من أثر فعال على الأرواح.

ما ينتهي إليه جيمس في مقاربته السيكولوجية للدين هو الإقرار بأن هناك منطقة لا وعي في الإنسان تختلف من شخص لآخر وتكون أكثر عمقا وثراء عند الصوفيين والقديسين لذلك نجده في صنوف التجربة الدينية يبدي امتعاضه من النظرة الطبية الآلية في دراسة النفس البشرية، ذلك أن المتدينين والمتزمتين كالصوفيين والقديسين الذين جسدوا بحق معاني العبقرية الدينية فهؤلاء في نظر الأطباء العقليين والمحللين النفسانيين، أشخاص يعانون العصاب، فالطب ينظر لإيماءاتهم وعبارتهم وشطحاتهم على أنها أعراض وهلاوس مرضية . لكن جيمس يرجعها لانفتاحهم على منطقة اللاوعي الكامنة في النفس لذلك يرفض جيمس تأويل العقلانيين وبعض المحللين النفسانيين للتجارب الدينية ويرى بأنها دون معنى لأن التجربة الدينية تعتبر ممارسة حية ناطقة، أي أن التجارب الدينية انفتاح واقعي على منطقة اللاوعي فالجزء الغريزي غير العاقل هو الأكثر حيوية و المأثر الفعلي في الدين وهذا ما بينه جيمس في مذكراته التي أعدها لمحاضرات جيفورد تحت عنوان " الإيمان" إذ جاء فيها " في الدين تصدر الحاجات الحيوية والمعتقدات الصوفية العلوية. من منطقة وراء أو أبعد من أو فوق العقل . وهي مواهب أو منح . والمسألة مسألة حياة . حياة في هذه المواهب أو عدم حياة. وهنا تعرض فرص لعمل شيء قوي ولكن الأمر من الصعوبة بما كان" (بيري، 1965، صفحة 433).لا يرتبط الايمان فحسب بما هو نفسي الإلحاد كذلك يتغدى من ثلة من الاعتبارات النفسية فهو عند جيمس كالإيمان أي أنه يخضع كذلك لإرادة الاعتقاد وفي هذا الإطار يقول جيمس " كل من يقول البقاء بلا عقيدة خير من الاعتقاد في الكذب، لا يظهر بذلك إلا خوفه النفسي وكرهه الشديد لأن يكون مخدوعا . قد يكون ذلك المرء ناقدا لكثير من رغباته وميوله ولكنه عبدا مطيع لهذا الميل وهذا الخوف" (جيمس، العقل والدين، 1949، صفحة 125)، فالملحد وإن لم يشعر ينقد الدين، ويتهجم عليه ويحاول تقديم أكبر قدر ممكن من الأدلة على بطلان الأديان وفساد فكرة الدين ليشعر هو كذلك بالراحة

والطمأنينة والسكينة الروحية. فجيمس لا يرى وسطية بين الالحاد والايمان ،فلا توجد منزلة بينهما ولاوجود لوسط بين الاعتقاد واللا اعتقاد فإما ان نعتقد ونؤمن او نعتقد بالإلحاد ،فلا وجود للحياد في الدين، فالقضية لا تحتمل إلا "إما" و" أو" وفي هذا الصدد يقول جيمس" أي شخص يتظاهر بأنه محايد إنما يدمغ نفسه هنا بالحمق والتمويه الكاذب والتدليس" (جيمس، البراغماتية، 2008، صفحة 332).

3. في الأبعاد البراغماتية للدين :

1.3 القيمة الذرائعية للإيمان الديني:

فلسفة الدين والسيكولوجيا الدينية الجيمسية وأن بدت فيها هنات ومطبات وربما تناقضات كثيرة يكتنفها الغموض من كل جانب فلعل هذا راجع لأسلوبه وإلى الطابع العام اللانسقي لفلسفته، ويمكن القول بأن النظر للبراغماتية على أنها فلسفة إلحادية هو ما حدى بجيمس الى تبرأة نفسه وبراغماتيته من ذلك وفي هذا الإطار يقول جيمس " عندما أقول لكم أنني كتبت كتابا عن خبرت الناس الدينية، اعتبر إجمالا بمثابة توكيد لحقيقة وجود الله، فربما تبرئون براغماتيتي من تهمة كونها نظاما إلحادي" (جيمس، البراغماتية، 2008، صفحة 348)،وقد ترك لنا جيمس كتاب إرادة الاعتقاد"**The will to believe** " والحق أن الكتاب يمكن أن يحمل عنوان "حق الاعتقاد" بوصف الفرد في فلسفته من حقه أن يعتقد فيما شاء، إذا كان ذلك نافعا له، وهذا الموقف سيؤدي كما يقول" إلى مساعدة هذا الجانب أو ذاك، لكنها مسائل لا يستطيع أن يجزم فيها بأمر قاطع ولكن الإيمان بها سيشع نورا من حولنا" (الحفيظ، 2005، صفحة 77).

صاحب التجربة الأصيلة يربط الدين بالاعتقاد و يربط صدق الإيمان الديني بالأثر وما يترتب عنه من نتائج عملية في دنيا الواقع من هنا "سيستعيض عن القياس بالاستقراء الواقعي وعن اللاهوت القطعي المتزمت بعلم أديان يستند إلى المنهج الوصفي" (الحفيظ، 2005، صفحة 78)، فالمعتقد الديني مقبول ومستساغ ما دام يخلق في نفس المؤمن الشعور

بالسعادة والسكينة والطمأنينة والراحة والهدوء والاتزان الداخلي ويمنح الفرد جرعة معنوية تمنحه القوة والطاقة والجلد في مواجهة ومجابهة تحديات وعراقيل الحياة ،فالكيان الديني مشروع طالما ينزع القلق والخوف من نفس الفرد ومن هذه الناحية يكون مقبول تماما لما له من أثر فعلي في واقع حياة المؤمن، يقول جيمس : "المطلق لا يعني شيئا إلا مانح الإجازات وطارد الخوف الكوني" (جيمس، البراغماتية، 2008، صفحة 341)، بما يدل أن لإيمان بقوة مقدسة أمر مشروع عندما يكون كالإجازة أي عندما يكون مؤديا إلى الراحة ،وفي هذا يذهب وليم جيمس إلى التأكيد بأنه :" لولا الدلالة العملية لكانت كلمات الإله، الإرادة الحرة الخلق لا معنى لها، فلديها أي هذه الكلمات معنى خاص، وهو أنها تعد بوجود عالم أفضل مما يعيش فيه" (موريس، رواد الفلسفة البراغماتية، 1996، صفحة 47) . مؤد هذا أن جيمس يقر بحق المرء في أن يؤمن بالشكل والذي يراه مناسبا وبالطريقة التي يرى بأنها صحيحة مادام هذا الاعتقاد الديني مثمر لكونه يسهم في حل مشاكل المرء اليومية ويساعده في الارتقاء في حياته، فجيمس يفترض أنّنا سنجني من وراء اتّباعه -أي الدّين- خيراً كثيراً نحتاج إليه في حياتنا، وسنخسر بالإعراض عنه ذلك الخير الحيوي" فالدّين يقدّم لنا نفسه على أنّه تخيير ملزم ضروري، لأنّ ذلك الخير الحيوي مرتبط به ومتوقف عليه. فلا يمكننا أن نتخلّص من المشكلة ببقائنا في حالة شكّ وتردّد مرتقبين اليوم الذي تأتي فيه أدلّة أكثر وضوحاً وأقوى إلزاماً (جيمس، العقل والدين، 1949، صفحة 30) ،فالدين مرتبط بمنفعة الفرد لذا ليس من الغريب أن يذهب جيمس إلى الإقرار بأن الأديان هي بعدد المتدينين، ففي خطاب وجهه لصديقه جريس نورتون سنة 1904 من ضمن ما جاء فيه :"أومن بأن المسألة كمشكلة عملية للفرد، تفرض أن الدين الذي يظاهره المرء يجب أن يكون الدين الذي يجده أحسن وخير دين بالنسبة له هو، على الرغم من أن هناك أشخاصا أحسن منه ودينهم أحسن بالنسبة لهم" (بيري، 1965، صفحة 362)، ، ووفق هذه الرؤية البراغماتية السيكولوجية يمكن القول بأن الدين لم يعد مشكلة نظرية يتم البحث فيها بل أصبح حلا للعديد من المشاكل التي قد نقع فيها . إن الدين مسألة عملية يمكن للفرد اختبار فاعليتها

ومعاينتها والتحقق منها من خلال الشعور والعاطفة الدينية التي تترتب عن معايشة تجربة دينية معينة إذ يخرج الفرد من بعض التجارب الدينية بتأثيرات حيوية وذات صدى ايجابي في حياته وفهمه للحياة والوجود.

الدين يتيح للمعتقد به من تخطي العديد من العراقيل المرتبطة بأمور وشؤون العالم الدنيوي فمن خلاله يسمو الانسان عنها ويتفوق عليها، فالشعور الديني والانفتاح على عالم غير منظور والتعاطي مع موجود فوق بشري والإحساس بمساعدة وعون قوة أقوى يخلق في النفس الشعور بإمكانية النجاح والتفوق ويقلل هذا الشعور كذلك من الإحساس بالخوف والكدر، وهنا تبرز قيمة وأهمية فكرة ما تحت الشعور التي كان جيمس من السباقين للإشارة لها والحديث عنها فما تحت الشعور " يمكن الإنسان أن يحيا تجارب معنوية وذوقية ودينية، كالخلاص والتسامح والمحبة وإصلاح الخطأ وبذل النفس، وهذه أهم نقطة يلتقي فيها الدين والعلم" (**Floumy, 1911, p. 141**)،فجيمس يرفض الكونية الدينية" الدين الواحد" ويؤكد على البلورالية الدينية(التعددية الدينية) وعلى قيمتها عندما تكون ترياق يزيل القلق والاضطراب من نفس المؤمن، والإيمان ذاتي لأن الدين الحقيقي، دين شخصي وليس الدين السماوي فيما يذهب إليه جيمس.

يتناول جيمس فكرة الله بالشرح لكن دون أن يتخلى عن ذرائعيته، فالله بالنسبة له فرض نافع، ومادام كذلك فهو حقيقي ولكن لا نقصد بلفظ الحقيقي هنا الوجود الانطولوجي المستقل والموضوعي والقائم بذاته إنما نقصد بالحقيقي هنا الحقيقي بالمعنى النسبي الذاتي لأن الدين مرتبط أشد الارتباط بالعيش بالنسبة لجيمس، ولفظ العيش هنا دلالة على أن قيمة تصور الله تكمن في الاعتماد عليه في تجاوز عجزنا، ومساعدتنا على تحقيق عيش يسوده السكينة الروحية والمعنوية ،فهو يربط تصور الإله بالمنفعة ويعتبر أن طرائق البرهان على وجود الله بطريقة العقلية الميتافيزيقية القديمة المعتمدة على الدليل القائم على دقة النظام والتصميم الكوني والغائي لا طائل منها إذ لا يسلم بوجود تدبير

وعناية إلهية تقف وراء النظام الموجود في العالم بل حتى فكرة الغائية والنظام بالنسبة له خرافة كما أن فكرة العناية الإلهية والتدبير الإلهي مجرد خرافة كذلك. وبهذا المعنى لا يكون الله هو الفاعل في التاريخ منذ الأزل ولا علة حركته ولا الملجأ للفهم والتفسير عند عجز العقل وهذا ما جاء في رسالته إلى صديقه توماس دي فيدسون" أشعر بالحاجة إلى تصور وجود الله باعتبار نموذج الكمال أو الخير المطلق، أو الكائن الأسمى والأعلى، فلا يمكنني اعتبار هكذا تصورات بأنها فطرية" (بيري، 1965، صفحة 285).

السيكولوجية الدينية لجيمس تنسجم مع فلسفته في الكون ورؤيته للعالم ،فالعالم عوالم ممكنة ومحتملة تنجز بصورة دائمة ومستمرة فإذا كانت فلسفته تقول بعدم كمال وعدم نهائية العالم فإن سيكولوجيته الدينية تقول بعدم كمال الإله وإذا كان قوام العالم الصدفة فإن قوام فكرة الإله هو فكرة الاعتقاد كفرض نافع من هنا تنطوي فلسفته الدينية على تعددية لاهوتية ،فالدين بعدد المتدينين والله بعدد المتدينين كذلك فلكل فرد إله خاص به، ولا شك أن هذا التصور يعود بنا إلى أساطير ومعتقدات الشعوب القديمة التي كانت تؤمن بإله متعدد ومتكثر . وربما كان يعتقد بأن " الأقدمون اعقل منا واحكم . وقد يكون تعدد الالهة اصدق وأحق من وجود إله واحد ... لقد كان الاعتقاد بتعدد الالهة الدين الحقيقي بالنسبة لعامة الناس دائما ولا يزال كذلك، والناس على صواب والفلاسفة على خط (ديورانت، 1977، صفحة 620)، فلا وجود لعالم كامل بدفعة واحدة، ولا مكان لدين متكون مرة واحدة وبدفعة واحدة. هذا ما تنتهي اليه فلسفة وليم جيمس الدينية بفعل دعائمها ومقوماتها السيكولوجية الذرائعية. فالوجدان والإرادة هما طريق الإيمان، ويربط جيمس فكرة الاله بالنفع مثل بليز باسكال**Pascal.B(1623-1662)** ،ويعتبر انه يتوسع فيما يعرف ب "رهان باسكال"، ورهان باسكال يقوم على فكرة محتواها هو الآتي :

إما أن يكون الله موجودا وإما ألا يكون، ولكن إلى أي جانب ننحاز إلا أن العقل لا يستطيع أن يعيننا، فهناك هوة سحيقة بين المخلوق والخالق، فعلى أيهما تراهن؟ إن الأمر أشبه بقطعة نقود قد تظهر فيها صورة أو كتابة، فليس بسهل تأكيد أحد الاحتمالين على

حساب الآخر، ولن نستطيع أن نقدم حججا تؤيدها دون ذاك، وقد يقال أننا اذا لم نعرف هذا ولا ذاك فإن المسلك الصحيح هو ألا نراهن على الإطلاق غير أن المراهنة أمر لا مفر منه فهي شيء لا يتوقف على إرادتك إنما عملية أصبحت عند مندمجا بالفعل، فماذا تختار؟

ينتهي باسكال مختارا وجود الله على حساب عدمه، فإذا كان الله موجودا تحقق الربح وإذ لم يكن موجودا لم نخسر شيئا وكل ما في الأمر أننا أدينا بعض الصلوات وتنازلنا عن بعض ملذات ومغريات الحياة فمصلحتنا تقتضي أن نسلم بوجود الرب وأكبر وأفجع خسارة هو عدم الايمان بالرب في ظل احتمال أن يكون موجودا لأننا في هذه الحال حسب باسكال نفقد "الحصول على نعيم الحياة الأبدية وجازفنا بالوقوع في اللعنة الخالدة" (**Warburton, 1996, p. 30**) ،فالإيمان بالله هنا عملية براغماتية، وهذا لب تصور جيمس لله فهو على شاكلة باسكال يربط وجود الله بالمنفعة ويرى أن العقل غير مجدي في إثبات أو تفنيد وجود الله.

جيمس يختلف عن باسكال إذ رغم قوله بان الإيمان بوجود الله مستمد من الجانب العملي فإنه يرفض رهان باسكال، وفي ذلك يقول وليم جيمس :" يشعر المرء بأن العقيدة الدينية اذا عبرت عن نفسها هكذا بلغة المراهنين فقد رمت بآخر سهم من سهامها، ولا شك من أن عقيدة باسكال في الماء المقدس وفي الصلوات اعتمدت على براهين غير هذه البراهين، وفي أن رسالته هذه لم تكن إلا برهانا يقصد به إلزام الآخرين وإقناعهم، ولم تكن إلا حركة اليأس الأخيرة" (جيمس، العقل والدين، 1949، صفحة 67) . جيمس يستعمل رهان باسكال بطريقة نقدية أي أنه أورده لا ليأخذ به كما يبدو للوهلة الأولى وإنما لينقده ويتجاوزه باعتبار رهان باسكال في نهاية المطاف سيأخذنا إلى مضامين الدين الكنسي التقليدي الجمعي الذي يؤمن به باسكال وإلى إله الأديان السماوية التوحيدية فحسب جيفري جوردن (**Jeffery Jordan**) قد حمل عرض جيمس للرهان الباسكالي صورة نقدية هدفت لفضح الجشع والطمع والتملق وعدم الصدق مع الإله وإخلاص النية له فهذا الرهان يفصح عن نصب

واحتيال غير مباشر على الإله والأجدر أن يعاقب لا أن يثاب من يراهن على الله بهذه الطريقة والإله إذا كان حقيقيا" لا ينبغي أن يكافئهم بنيل الجنة لأنهم غير صادقين ولا بمخلصين له فلا يجدر أن يكافئوا على احتيالهم وعدم صدق نواياهم" (**Jordan, 2005, p. 180**) فالمعتقد بالله وفقا للسيكولوجية الجيمسية سيجزى بصورة أفضل سواء ثبت وجود أو عدم وجود الإله.

الاله الذي يتكلم عنه باسكال "خارجي" أما إله جيمس "فداخلي" بوصفه شخصية حقيقية متناهية توجد في الزمان أعني أنه ذات إلهية، أو هو بالأحرى "أنت" (محمود، 1993، صفحة 58)، ولا شك أن هذا يوحي بأن جيمس يتصور الله موجودا ينبع من داخلنا وليس حقيقة موضوعية مستقلة وقائمة بذاتها. براغماتية جيمس الدينية مبنية على الحرية وحق وارادة الاعتقاد كما أن باسكال يتحدث في رهانه عن دين جمعي بينما جيمس يتحدث عن دين فردي. وهنا يختلف عن المتكلمين والعقلانيين المثاليين ولا مكان لفكرة الإله القهار الجبار القادر المقتدر الذي يقوم بكل شيء ويعلم كل شيء ويحيط بالجزئيات والكليات والذي يدرك الظاهر والباطن بعلم إزلي كما هو دارج في الفلسفة المدرسية لأن إله على هذا النحو يجعل من الإنسان منزوع الحرية دون إرادة ومجبر على إداء أفعال قدرتها قوة أبدية وأزلية وسرمدية.

جيمس يذهب إلى أن الله متناهي إي أنه لا يتصف بالكمال المطلق، فالله يمتلك القدرة والعلم ولكن قدرته وعلمه لا تسع كل شيء وهو لا يحيط بكل شيء لأنه لو سلم بأن الله لا متناهي العلم والقدرة لوجود نفسه قد تورط فيما تورطت فيه الديانات التقليدية والفلسفات الموحدة للوجود، وهو مشكلة الشر، فلو كان هناك مثل هذا الاله الشامل للزم أن يكون مسؤولا عن كل ما يقع و الشر بعض ما يقع" فإما أن يقول أن الله عندئذ مسؤول أو أنه عاجز عن درئه وجيمس يفضل البديل الثاني ويكون العجز عندها معناه أن الله لا يشمل كل شيء في الوجود"(زكريا ابراهيم،52،1962).الإله الذي يشير إليه جيمس يتصف بكونه ليس في غنى عن العالمين لأن" الله نفسه يستمد من ولائنا وإخلاصنا عظمة وجوده ومقومات

بقاءه ومعنى هذا أننا بإيماننا بالله نؤدي لله أجل خدمة وأعظمها، إذ نساهم بذلك في تثبيت دعائم ذلك العالم المثالي" (نومس، 1959، صفحة 663) على أن هذا لا يعني عدم تقديم جيمس لصفات ايجابية لله، إذ يصفه بأنه خير و خيريته ترجع إلى كونه معين لنا باعتباره طاقة وقوة نؤمن بها أو نتوجه إليها بغية تحقيق السعادة ،والله قوة حال اعتقادنا بها نؤمن بأن التشاؤم والظلامية ليست النهاية الحتمية للعالم رغم ما فيه من شرور، الله حسب جيمس هو احد العاملين على تشكيل مصير العالم الأعظم" لكنه فذ في الأنداد، إنه أستاذنا وقائدنا وصديقنا في الصراع المجيد في سبيل عالم خير من عالما" (نومس، 1959، صفحة 358)، فالإله الجيمسي كما نحتاج الى مساعدته يحتاج الى مساعدتنا لذا لم ينظر بتاتا لله على أنه العلة الخالقة للكون، والإله الذي يقبل به هو إله فاعل ومتناهي وغير خلا ق .الأمر الذي حد به الى استهجان الصفات الميتافيزيقية لله كالعلم الشامل ،والقدرة المطلقة، ولا ماديته، ولا تناهيه ،فهذه الصفات الميتافيزيقية لا تحدث اي اثر عملي وحيوي على حياتنا ومنه صدقها أو كذبها لا يقدم ولا يؤخر بالنسبة لنا أما كمالات الله الأخلاقية التي تمس خيريته ورحمته ومساندته للبشر فهي من الأمور التي لها انعكاس في واقعنا العملي فأن يكون هناك شخص قادر رحيم يؤزر أهدافنا الأخلاقية فإنه مما هو نافع ومجدي لنا" غير أن هذه الصفات لا تتم البرهنة عليها عن طريق أي استنباط منطقي ...وهي تستمد قدرتها على انتزاع تصديقنا من تجربتنا عن الله، أو من اعترافنا بحاجة أخلاقية إلى إله هذه هي صفاته" (كولينز، 1973، صفحة 433).

واضح أن الله بهذا المعنى مختلف عن الله الموجود في الكتب المقدسة أو دين الثنائيات كما ينعته جيمس من منطلق ان اللاهوتيين يتصورون الله كيان مغاير للإنسان، و لا يجب على الإنسان إلا الامتثال لأوامره ونواهيه حتى ينجو من عقابه وسخطه، فالله الذي يؤمن به جيمس لا يتم التواصل معه من أجل ضمان السكينة والسعادة في عالم آخر بل هو فرض صادق لأنه نافع.

4. خاتمة:

يتضح أن وليام جيمس كانت له رؤية نقدية لفهم المؤسسات الدينية للاعتقاد الديني فهو يصف موقف المؤسسات الأرثوذكسية بالمتحجر والمنغلق والجامد والمعادي والمجافي في نفس الوقت للإنسان وطموحاته ،وللحياة نفسها كقيمة وواقعة تتسم بالديناميكية والصيرورة وتعاطيه مع المسألة الدينية أكثر إنسانية وانسيابية من موقف بيرس وديوي، ولكن المنفعة هي إحدى ثمار الحقيقة وليست المعيار العلمي لما هو حقيقي، أما فيما يتعلق بموقف جيمس من الدين فقد جاء سيكولوجيا، وبراغماتيا، وإنسانيا، ومتسامحا، ورغم ذلك فإن موقف جيمس هذا يطرح العديد من الأسئلة أهمها فقدان الدين لقيمة الموضوعية وتحوله لمسألة وجدانية فقط لذا اعترض كليفورد clifford عليها لأنه يرى أن الإيمان يفقد قداسته إذا ما تعلق بعبارات لا دليل عليها، ولم توضع موضع التساؤل المجرد فلو قبل الإيمان على أساس أدلة غير كافية، فإن اللذة تكون لذة مختلسة.

نستنتج كذلك أن قيمة الإله الموجودة في الفكر الديني القديم قد تضعضعت لأن الإله لم يعد ضامن لوجوده بمعزل عن العالمين، وهذا يعني هامشيته من الناحية الموضوعية، كما أن إقامة الإيمان على العاطفة والوجدان، ومن المعروف عنهما أنهما عواطف متقلبة دائما، وبالتالي فالإنسان سوف يؤمن في حالة مزاجية عاطفية وجدانية جيدة، ويعود إلى الإلحاد عندما تتغير حالته المزاجية ،ولكن تبقى مطارحات جيمس بالنسبة لنا اليوم كعرب ومسلمين ضرورية لنا بحكم أننا نشكو من الفهم الضيق للدين من طرف الفرق الدينية الموجودة واحتكار الفرق الأخرى للحقيقية من جهة أخر ،وبالتالي نحن نحتاج إلى تعديل وتطوير وتغير ما يمكن تعديله وتحينه في فكر وليم جيمس، وذلك وفق حاجاتنا وخصوصياتنا، وعقيدتنا وزماننا الحالي حتى نجدد في فكرنا ومنظومتنا الدينية ،ونغير تبعا لذلك في نمط حياتنا وسلوكنا.

5. قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

- *Floumy. (1911). The philosophy of William james (Vol. 2). Genève: published By students chretian association. Solidarities house .*

- *James. (2004). the varieties of religious experience (Vol. 1). London: Taylor and francis group.*
- *Jordan, J. (2005). James William.Will to Believe (Vol. 1). N.Y, United States Of Amerca: Oxford University.*
- *Warburton, N. (1996). Philosophy the Basics (Vol. 2). London, England: Routledge.*
- ايريك فروم. (1977). الدين والتحليل النفسي (المجلد ط1). (فؤاد كامل، المترجمون) القاهرة، مصر: مكتبة غريب.
- برتراند راسل. (1977). تاريخ الفلسفة الغربية (المجلد ط1). (محمد فتحي الشنيطي، المترجمون) القارة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- تشارلز موريس. (1996). رواد الفلسفة البراغماتية (المجلد دون طبعة). (إبراهيم مصطفى إبراهيم، المترجمون) الإسكندرية، مصر: مؤسسة شباب الجامعة.
- تشارلز موريس. (96). رواد الفلسفة الأمريكية (المجلد دون طبعة). (إبراهيم مصطفى إبراهيم، المترجمون) الإسكندرية، مصر: مؤسسة شباب الجامعة.
- جون ديوي. (1963). نمو البراغماتية (المجلد ط1). (عثمان نوبة، المترجمون) القاهرة، مصر: مؤسسة سجل العرب.
- جون لويس. (1973). مدخل إلى الفلسفة (المجلد ط1). (أنور عبد المالك، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الطليعة.
- جيمس كولينز. (1973). الله في الفلسفة الحديثة (المجلد دون طبعة). (فؤاد كامل، المترجمون) القاهرة، مصر : مؤسسة فرانكلين.
- دراز. (1980). بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان (المجلد ط2). بيروت، لبنان: مطبعة الحرية.

- رالف بارتون بيري. (1965). أفكار وشخصية وليم جيمس (المجلد ط1). (محمد على العريان، المترجمون) القاهرة، مصر: دار النهضة العربية.
- زكي نجيب محمود. (1993). جياة الفكر في العالم الجديد (المجلد ط4). القاهرة، مصر : دار الشروق.
- سيغموند فرويد. (1973). موسى والتوحيد (المجلد ط3). (جورج طرابيشي، المترجمون) بيروت، لبنان: درار الطليعة للنشر والتوزيع.
- غيضان. (2019). فلسفة الدين (المجلد ط1). بيروت: المركز الإسلامي لدراسات الاستراتجية.
- محمد الشنيطي. (1957). وليم جيمس (المجلد ط1). القاهرة، مصر: مكتبة القاهرة الجديدة.
- محمد عبد الحفيظ. (2005). الفلسفة والإعتقاد الديني وليم جيمس نموذجا (المجلد ط1). الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا النشر والطباعة.
- محمود زيدان. (2005). وليم جيمس (المجلد ط1). الإسكندرية، مصر : دار قباء لطباعة والنشر.
- نبراس زكي خليل. (2012). فلسفة الدين مقول المقدس بين الايديولوجيا و اليوتوبيا (المجلد ط1). بيروت، لبنان: منشورات ضفاف.
- هنترمد ميد. (1975). الفلسفة أنواعها ومشكلاتها (المجلد ط2). (إبراهيم زكريا إبراهيم، المترجمون) القاهرة، مصر : مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.
- هنترميد. (1975). الفلسفة أنواعها ةمشكلاتها (المجلد ط2). القاهرة، مصر: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.
- هنترميد. (1975). الفلسفة أنواعها ومشكلاتها (المجلد ط2). (إبراهيم زكريا إبراهيم، المترجمون) اقاهرة، مصر: مؤسسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

- هنري نومس. (1959). تراجم حية لأعلام الفلسفة الغربية (المجلد ط1). (محمد بدران، المترجمون) القاهرة، مصر: مطبعة لجنة التأليف للطباعة والنشر.
- هونتر ميد. (1975). الفلسفة أنواعها ومشكلاتها (المجلد ط2). القاهرة، مصر: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.
- ول ديورانت. (1977). قصة الفلسفة (المجلد ط6). (فتح الله المشعشع، المترجمون) بيروت، لبنان : مكتبة المعارف.
- وليم جيمس. (1949). العقل والدين (المجلد دون طبعة). (محمود حب الله، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الحداثة.
- وليم جيمس. (1962). بعض مشكلات القلسفة (المجلد ط1). (محمد على العريان، المترجمون) القاهرة، مصر: المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر.
- وليم جيمس. (2008). البراغماتية (المجلد ط1). (محمد على العريان، المترجمون) القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.